ASJHSS

مجلة العلماء العرب للعلوم الإنسانية والاجتماعية

Arab Scholars Journal of Humanities and Social Sciences

مجلة العلماء العرب
للعلوم الإنسانية والاجتماعية

دورية علمية مُحَكّمَة

تصدر عن المجلس الأعلى للعلماء العرب

المجلد (1) العدد (1)

يوليو(تموز) 2021

مجلة العلماء العرب للعلوم الإنسانية والاجتماعية — Arab Scholars Journal of Humanities and Social Sciences — July 2021

ASJHSS

مجلة العلماء العرب للعلوم الإنسانية والاجتماعية

Arab Scholars Journal of Humanities and Social Sciences

Arab Scholars Journal
of Humanities and Social Sciences

A Scientific Refereed Journal

Published by Supreme Council of Arab Scholars

Volume (1) Number (1)

July 2021

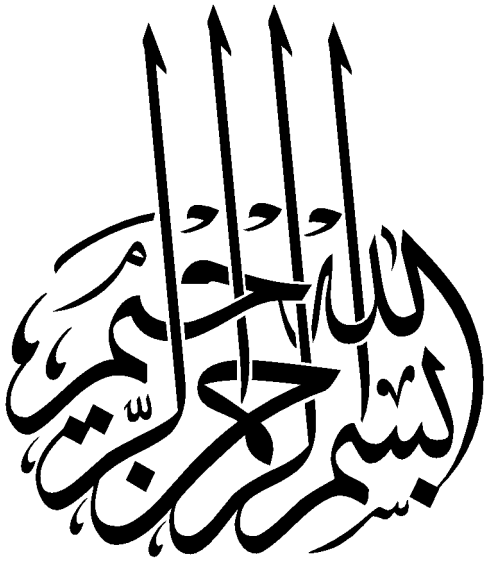
بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة العلماء العرب

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

Arab Scholars Journal of Humanities and Social Sciences

دورية علمية مُحَكّمَة تصدر عن المجلس الأعلى للعلماء العرب

A Scientific Refereed Journal Published by Supreme Council of Arab Scholars

البريد الإلكتروني: hssj@scoas.org Email:

المجلد الأول العدد الأول يوليو(تموز) 2021

محتويات العدد

1. فاعلية تدريس اللغة الانجليزية باستخدام الألواح التفاعلية، في تحصيل طالبات الصف السادس الأساسي واتجاهاتهن نحو تلك اللغة في الأردن
عدنان حسين الجادري ، أمل سعيد الخواجة.....26-69
2. النقل الديدكتيكي للمفاهيم اللسانية في درس مادة اللغة العربية مستوى الثانية بكالوريا آداب مثالاً: دراسة تحليلية نقدية
عبد العزيز إسماعيلي علوي.....70-91
3. "براديجم" الولاية في الجنوب المغربي: نموذج أيت إعزي وهدي
سالم وكاري.....92-117
4. أثر استراتيجية التعليم التبادلي في تنمية مهارات التفكير الجغرافي لدى تلميذات الصف السادس الإبتدائي في مقرر التربية الاجتماعية
إيمان سالم أحمد بارعيده، هدى زابن نوار الغامدي.....118-145
5. جودة مياه الشرب وآثارها الصحية بمحلية سنجة
عطرة الطاهر عثمان خير، مأمون محمد عبدالله علي.....146-164
6. فضاء المكان في رواية البَحّار: هاشم غرايبة
هنادي أحمد سعادة.....165-180
7. أول معاهدة بين إيالة الجزائر وإنكلترا 1622
عبد القادر فكاير.....181-210
8. وحدة دراسية مقترحة في الرياضيات قائمة على نموذج التفكير النشط (TASC) لتنمية المهارات الحياتية والمعرفة الرياضية لدى الطلبة المتفوقين بالصف العاشر الأساسي بفلسطين
هاني عبد القادر عثمان الأغا.....211-250
9. زاوية الكتب الحديثة: قراءة نقدية في كتاب "إشكاليّات التّعليم الإلكترونيّ وتحدّياته في ضوء جائحة كورونا" للأستاذ الدكتور علي أسعد وطفه، بقلم الأستاذ الدكتور محمود محمد علي
محمود محمد علي.....251-281

مجلة العلماء العرب للعلوم الإنسانية والاجتماعية
ASJHSS
المجلد الأول - العدد الأول- يوليو(تموز) 2021
تاريخ الإرسال: 14 / 1 /2021م
تاريخ القبول: 7 / 5 /2021م

"براديجم" الوَلاية في الجنوب المغربي
نموذج أيت إعزى وهدى

سالم وكاري
جامعة أسا، المغرب
Email: a.ouakari@gmail.com

الملخص:

تُسائل هذه الدراسة سيرة الوهداويين في الجنوب المغربي باعتبارهم من أهم المجموعات الصوفية بالمنطقة، حيث تمت دراسة صيرورة تشكلهم عبر مرحلتين: مرحلة أولى ترتبط بزمن الجد المؤسس وأبنائه المباشرين، ومرحلة ثانية ترتبط بالأحفاد، أو بعبارة أخرى النموذج التأسيسي (الجد والأبناء) في مقابل النموذج التسييري (الأحفاد)، والذي يعني الكيفية التي يتصرف بها الأتباع في التركة الرمزية والمادية للجد المؤسس، وتدخل في هذا النموذج كل نطاقات المحظور التي تحدث عنها ريمون جاموس (Raymond Jamous) من الزاوية إلى الأراضي، ومن غابات النخيل إلى الممتلكات الخاصة للولي وغيرها من الأشياء التي تمنح معنى لوجود الجماعة بعد غياب الولي.

الكلمات المفتاحية:

تصوف،
قبيلة،
زاوية،
أسطورة،
جنوب مغربي

مجلة العلماء العرب للعلوم الإنسانية والاجتماعية
ASJHSS
تاريخ الإرسال: 14 / 1 /2021م

المجلد الأول - العدد الأول- يوليو(تموز) 2021
تاريخ القبول: 7 / 5 /2021م

The Holiness "paradigm" in Southern Morocco

Ait l'zza ouhda

Salem Ouakari
Assa University, Morocco
Email: a.ouakari@gmail.com

Keywords:

Sufism, Tribe, Zaouïa, Legend, Southern Morocco

Abstract

This research studies the biography of the Ouahdaoui-ans in southern Morocco as the most important Sufi groups in the region, Where their formation was studied in two stages: a first stage linked to the time of the founding grandfather and his immediate children, and a second stage related to the grandchildren, or in other words the founding model (grandfather and sons) as opposed to the Managing model (grandchildren), Which means the way the followers organize the symbolic and material legacy of the founding grandfather.

تقديم

يظل تتبع سيرة الوهداويين في الجنوب المغربي أمرا صعبا بالنظر إلى قلة المكتوب وندرته في حياة هذه المجموعة، ويزداد الأمر صعوبة حينما نواجه بالضعف الشديد في الدراسات الميدانية حول زاويتهم، فأغلب "الأعمال" التي تناولت أيت إعزى وهدى أو أشـــارت إليهم كانت عبارة عن منوجرافيات تندرج في المهمات العسكرية الملحة، كما نشير إلى النقص الكبير في الدراسات الإحصائية والتوزيعات الجغرافية حول المجموعة المذكورة، فلا نكاد نجد أي إحصاء حولهم يهم الفترة المدروسة، كل هذه الإكراهات جعلت من تتبع ورصد صور وبصمات السيرة الجماعية لأيت إعزى وهدى أمرا صعبا كما قلنا، فكانت نقط الظل عديدة ومتعددة في تاريخهم، على أننا سنحاول انطلاقا من الوثائق المتوفرة وما ألمحت إليه المونوجرافيات الاستعمارية من إشارات بالرغم ما يقال عنها، ثم مساءلة نموذج أيت إعزى وهدى الحكائي الذي يمتلكونه عن بداية نشأتهم وظهورهم على المسرح الاجتماعي بكل التفاصيل الممكنة، أن نتتبع ونرصد تاريخهم وصيرورة تملكهم للمجال. فمن هم أيت إعزى وهدى؟ وما هي أبرز التحولات التي شهدها مجال آسا بعد بروز هذه المجموعة "الإثنية"؟ ثم ما هي العوامل التي أسهمت في بسط نفوذهم على هذا المجال؟ وكيف تقهقروا بعد الهيمنة؟

الخريطة (1): مجال الدراسة (google 04/04/2021)، تم الاسترجاع من
https://www.google.com/maps/place/Assa-Zag

قبل تناول سيرة الوهداويين وأبرز أحداث تاريخ مجال أسا خلال الحقبة المحددة للدراسة، لابد إعطاء لمحة عن الدراسات السابقة حول الموضوع، والوقوف على أوجه القوة ومكامن الخلل في هذه الدراسات قصد التأسيس لأرضية صلبة ننطلق منها نحو تحقيق نظرة متكاملة وتراكم منتج.

1. حصيلة الدراسات السابقة في الموضوع

يُظهِر تناول موضوع أيت إعزى وهدى نوعا من الضعف على مستوى المنتوج الأدبي، على أنه مند فترة الحماية ظهرت بعض الأبحاث والتقارير حاول من خلالها ضباط وسوسيولوجيون أجانب الوقوف على جوانب من تاريخ زاوية أسا وأيت إعزى وهدى، ولعل من أهم الدراسات الكولونيالية في هذا الإطار نذكر كل من دراسة الضابط دوفورست (DEFURST, 1939)، وفانسان مونتاي (MONTEIL, 1967) ، ومحكي الضابط بيران (PERRIN, 1979) ، حيث اتسمت معلوماتهم بنوع من التفصيل والشمولية، مقابل أبحاث أخرى اتصفت بالتعميم ونوع من التناقض والتضارب وبالاقتضاب، تعوزها الدقة في الكثير من الأحيان نتيجة اعتمادها الكبير على الرواية الشفهية وما نقله المخبرون (MARTY, 1915; La CHAPELLE, 1934; MONTEIL, 1948)

وعلى الرغم مما شاب المونوجرافيات المحال عليها من نواقص، فقد أصبح من نافلة القول التأكيد على أهميتها في الكشف عن جوانب من تاريخ المجتمع التي لم تكن تحظى باهتمام المؤرخين التقليديين، باعتبارها مما هو متعارف عليه عند الجميع أو من "تفاهات" الحياة، والتي أضحت اليوم من المشاغل المحورية لعلماء المجتمع والإنسان، فبدل الإعلان عن إفلاس النص الاستعماري يجب الاستفادة منه، وذلك انطلاقا من الفصل بين المستوى المعرفي والتراكم الحاصل في وصف الظواهر والمعطيات من جهة، والمستوى الإيديولوجي من جهة ثانية، لأن تجاهل هذا الفصل قد يؤدي إلى إضاعة مادة علمية ثمينة، ولا يتأتى هذا إلا من خلال التسلح بمنهجية نقدية صارمة وبيقظة مطردة. وتتأكد قيمة النصوص الاستعمارية حينما نكون بصدد دراسة مجموعة ومجال يعرف ندرة المكتوب وندرة المعلومات الموثقة حوله مثل مجال أسا وأيت إعزى وهدى.

أشارت كتابات فرنسية معاصرة بهذا القدر أو ذاك إلى أيت إعزى وهدى (PUIGAUDEAU, 1968; MEUNIE, 1982; GOUDIO, 1985)، وقد شكلت في طبيعتها امتدادا لتلك المونوغرافيات من حيث إفراطها في الاتكال على الرواية الشفهية وسطحية معلومات بعضها، وإن تميزت عنها من حيث المنهج وخاصة ما وفرته لنا من الإطار الزمني الذي نحن بحاجة أكيدة إليه، إذ يشكل ضبط الزمن المؤرخ به نقطة الضعف البارزة في الكثير من المصادر المحلية المكتوبة وفي التقاليد المروية عموما.

نقف في مجال الدراسات المغربية على مجموعة من الكتابات التي تناولت تاريخ زاوية أسا وأيت إعزى وهدى، في شكل مقالات أو كتب جماعية لم يأت معظمها على أية حال بجديد يذكر، لا على مستوى المعلومة ولا على مستوى المنهج الموظف في معالجة المعلومة (الغلى، د.ت؛ السعيدي، 2001؛ ناصري، 2011؛ بوزنكاض وآخرون، 2012؛ حديدي وآخرون، 2020) حيث تم الاقتصار معظم الأحيان على تكرار نتائج الدراسات الكولونيالية دون تطعيمها بأبحاث ميدانية أو وثائق أرشيفية ومحلية

إلا فيما ندر، ويظل هناك استثناء بخصوص دراسات تميزت بكونها منطلقا جادا للمعالجة الرصينة والتحليل الجيد ولعل من أهمها دراسة الأستاذ محمد المازوني، "قراءة في المشهد الصوفي بآسا"، وهو مقال من بين عدد من المقالات يجمعها كتاب نفس المؤلف والمعنون بدراسات في تاريخ التصوف المغربي (المازوني، 2012)، ثم دراسة للأستاذ عبد الكريم مدون موسومة بعنوان "التاريخ الاجتماعي بين الأسطورة والذاكرة الشعبية، محاولة قراءة في ذاكرة المجتمع الآسي" (مدون، 2005)، وأيضا دراسة للباحث مشروح إبراهيم، "آسا في أفق التاريخ الروحي"، ضمن كتاب حاضرة آسا عمق التاريخ وغنى الذاكرة (بوزنكاض وآخرون، 2012)، وكذلك مقال للباحث عمر ناجيه على موقع الرابطة المحمدية للعلماء (ناجيه، 2016). وتبقى أهمية مقالات الأستاذ مصطفى ناعيمي بمعلمة المغرب (1989) محدودة ورهينة على العموم بمدى أهمية المقالات المنشورة بهذه الموسوعة.

لقد ظلت أخبار آسا وأيت إعزى وهدى في حل من مدوني الأحداث وكتب التراجم، وكان علينا أن ننتظر مطلع القرن العشرين مع مونوجرافيات استعمارية تندرج في إطار المهمات العسكرية الملحة، والتي انساقت وراء نتائجها الكتابات المغربية اللاحقة عن المنطقة المدروسة على قلتها وفقرها المنهجي مع استثناءات معدودة مميزة، على أن تجاوز هذا النقص الحاصل في منطق التراكم يستدعي منا التفكير في المعطيات من منطلق علائقي وفق قراءة تعتمد "البصمات المشوشة"، وبأسلوب ممنهج متقاطع وعين حذرة محايدة جهد الإمكان لإعادة تركيب الصورة بما يحتمل أنها تحمله من أحداث وقيم وتخيلات.

2. إرهاصات الوَلاية بمجال أسا

ليس من الغريب أن يغيب اسم آسا[1] عن مدوني الأحداث والجغرافيين خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، ذلك أن المنطقة ظلت مجهولة لديهم جميعا بالرغم من ازدهارها الاقتصادي، لذلك فإنه من الضروري انتظار القرن الثالث عشر ليتغير وجه القصبة مع "الغزو" المعقلي وظهور رجل مبجل هو إعزى وهدى مؤسس زاوية آسا، غير أن توفر بعض القرائن–على قلتها– يسمح بتلمس جوانب من تاريخ المجال قبل ظهور الشيخ إعزى وهدى، فانطلاقا من بعض إشارات مدونة زاوية آسا يبدو أن وصول سيدي محمد الشبكي القادم من الحجاز، إلى آسا – أول علم إسلامي بالمنطقة– كان سنة 130هـ/748م (ناعيمي، 1989)، حيث سيستقر قرب عين "تكرضات" على الضفة اليسرى لوادي أسا، وسيبدأ بدعوة سكان المنطقة لدخول الذين الجديد، وهو ما سيستمر إلى حين وفاته سنة 134هـ/752م حيث سيدفن بالمكان نفسه[2] (الإنجيتي، 1303).

على أن سبق محمد الشبكي المذكور إلى مجال آسا لا يعني أنه مؤسس زاويتها كما ذهب إلى ذلك لاشابيل (La CHAPELLE) (1934)، ولعل ما يؤكد ما ذهبنا إليه هو توافر بعض القرائن منها:

– فترة وجود محمد الشبكي بالمجال (القرن 8م)، وهي فترة مبكرة على ظهور الزوايا بالمغرب، والتي لم تظهر سوى ابتداء من عهد الدولة الموحدية، حيث كانت تسمى بدار الكرامة (حجي، 1964).

– موقع ضريح الشيخ حاليا، الموجود خارج قصر أسا والقريب من عين "تكرضات" على بعد كيلومترين شرق القصر حيث توجد الزاوية، وانفراده عن باقي "الأولياء" المدفون جلهم بمقبرة القصر – بما فيهم إعزى وهدى مؤسس الزاوية–، الأمر الذي يمكن أن نفسره بكون محمد الشبكي رابط بهذا المكان ليدعو سكان المنطقة إلى الدين الجديد في انتظار إسلامهم لكي ينتقل بعدها إلى القصر مادام تدينه يمنعه من السكن بين ظهراني أناس "كفار"، وهو ما تكرر مع نموذج الدولة المرابطية في غرب الصحراء حين اعتزل عبد الله بن ياسين في رباط بالبحر اتخذه منبرا لدعوة صنهاجة إلى تحسين إسلامها. على أن ما تجدر الإشارة إليه هو كون الرواية الشفهية لا تشير بأي شكل من الأشكال لعلاقة الشيخ بسكان القصر، بل تقتصر على ذكر دعواته المستمرة لعناصر إداوكيس الوثنيين الموجودين بأدروم أعلى أسا، وكيف أدى امتناعهم عن أداء الجزية له إلى نقلهم عنوة إلى آسا وتخريب قصورهم، فهل كانت للشيخ من الإمكانيات العسكرية ما أهله لإخضاع إداوكيس؟ أم أن الأمر لا يعدو مجرد تكرار للأسطورة السائدة في وادي نون حول خراب تگاوست ولو بصيغة أخرى؟، وحتى إن افترضنا أن الشيخ كان له من القوة العسكرية ما استطاع به إخضاع إداوكيس، فهل كان ذلك بمساعدة من سكان القصر المنافسين لإداوكيس؟ وإن افترضنا هذه المساعدة فهل يعني ذلك إمكانية إسلامهم؟ وإذا كان ذلك فعلا فلماذا لم ينتقل الشيخ إلى الاستقرار في القصر؟

إن الإجابة عن هذه التساؤلات تظل مرهونة بظهور وثائق جديدة، غير أن إمكانية نجاح الشيخ في مهمته تبقى حسب اعتقادنا محدودة بالنظر إلى ما يلي:

– قصر فترة وجود الشيخ بالمجال، حيث دامت أربع سنوات فقط (من 130هـ إلى 134هـ)، هذا المجال الذي لا زال في بداية احتكاكه بالدعوة الإسلامية.

– مكان وجود ضريح الشيخ وصغر حجم المقبرة المحيطة به، والتي تؤكد الرواية الشفهية أنها لاحقة لفترة وفاته بقرون كثيرة.

– وجود ضريح حفيد محمد الشبكي يحيى بن عبد الرحمان بن محمد الشبكي بتنبكتو (الأقاوي، 1661)، حيث يقول عنه صاحب السعادة الأبدية أنه قطب مالي وباني أول مسجد جامع بتينبكتو (المراكشي، 1922)، وهو ما قد يدل على أن يحيى المذكور قد وجد الوسط الملائم لنشر مبادئه عكس جده ووالده، إذ من المحتمل أن هذا الأخير قد تكون هجرته إلى تينبكتو راجعة إلى انعدام هذا الوسط بآسا.

وحتى لا نغالي في طرح الفرضيات فالأهم أنه حتى وإن لم يستطع محمد الشبكي نشر الإسلام بين جميع سكان المنطقة (MEUNIE, 1982)، فإن ذلك لا يعني عدم استقطابه لبعض العناصر أو على الأقل

تمهيده المنطقة لتقبل الدين الجديد بطريقة أكثر مرونة في الفترات اللاحقة، حيث سيصبح بعد الأسلمة العميقة للمنطقة رمزا من رموزها، و ستعتبره الذاكرة المحلية وتدا من الأوتاد الصوفية الأربعة، ومزارا مقدسا لم يقتصر على العامة من الناس فقط بل شمل حتى كبار المتصوفة، يقول صاحب سلسلة الأنوار بهذا الصدد: "وأما الأوتاد[3] الأربعة رجال جعلهم الله في الجهات الأربعة أوتادا واحد منهم في بلاد أيداوكيس، وهي قرية الأولياء وهي آسا وهي الأغنان، جعل الله فيها وتدا واحدا وهو سيدي محمد الشبكي وذكر أن قبره في كهف الحمام[...] ومنصور خاله، ومن زارهم ليلة الخميس ويوم الجمعة فكأنما زار الأنبياء كلهم واحدا واحدا، وعن أبو مدين شعيب التلمساني أنه قال لقيت أبا العباس السبتي فقال عليك بزيارة أبا محمد الشبكي ومنصور خاله، ثم أتى شابا سأله فقال له أين الذي كان قبر أبا محمد الشبكي، فقال الشاب عليك ببلاد أيداوكيس واسأل عن كهف الحمام، فإذا وصلته تجد عند بابه خيط ماء وهما قبران ، فانتبه إلى القبر الكامل وهو قبر أبي محمد الشبكي ومنصور خاله أمامه، واتى أبو مدين شعيب التلمساني إلى ذلك المكان وجلس عند رؤوسهم سبعة أيام وسبع ليال وهو يبكي في محبة الله ومحبتهم، فإذا اليوم الثامن ارتفعته من ذلك المكان إلى مكة" (الإنجيتي، 1303، ص. 2).

وإذا كان مسار أسلمة المنطقة قد بدأ مع سيدي محمد الشبكي، فإنه سيتطور مع توالي مجموعة من المشايخ على المنطقة مثل: سيدي جعفر بن عبد الله سليل أبي بكر الصديق، وأبي مسعود، ومحمد المبارك بن أبي الأسد، وأبي يعقوب الأسود، ومحمد بن أحمد الاضغاني (السوسي، 1960)، ثم سيدي عيسى بن صالح أحد أحفاد سيدي جعفر بن عبد الله والجد الخامس لإعزى وهدى (المرغتي، د. ت)، والذي سيعمل على بناء أول مسجد بالقصر (مسجد إداونگيت)، كما سيؤسس رباطا لترسيخ مبادئ الدين والدعوة إليه. على أن الأسلمة العميقة للمجال لن تبدأ إلا بعد بروز شخصية إعزى وهدى على مسرح الأحداث حيث سيدخل في مجموعة من المعارك "الجهادية" استطاع بفضلها تثبيت مبادئ الإسلام السني بالمنطقة. فمن هو إعزى وهدى؟ وما هي أبرز التحولات التي سيشهدها المجال بعد استقراره فيه؟

3. الولي والمجال

بالرغم مما أحدثه ظهور الشيخ إعزى وهدى بمجال آسا من تحولات هامة مست مختلفة جوانب الحياة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا، إلا أن الدارس لهذه الشخصية يصطدم بقلة ما ألف حولها، فباستثناء الشذرات التي ترجمها فانسان مونتاي (V.Monteil) (1948) من مدونة زاوية آسا، ثم تقييد محمد المرغتي الذي أورد محمد المختار السوسي جزءا منه في المعسول (1960)، فلا نجد مصادر أخرى قد تفيد الباحث في هذا الباب، على أننا سنحاول انطلاقا من هذين المصدرين وبعض الإشارات الواردة في دراسات متأخرة استجلاء بعض الغموض الذي يحيط بهذه الشخصية.

1.3. مولده ونشأته

1.1.3 مولده

ولد الشيخ إعزى وهدى في دار الأمير يعقوب المنصور الموحدي بمراكش بتاريخ 646هـ/ 1248م، وهو ما يصرح به في مذكراته الخاصة إذ يقول"إن خروجنا من العدم إلى الوجود كان في أول سنة ستة وأربعين وستمائة، كان ذلك عند طلوع شمس يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر الله الحرام" (السوسي، 1960، ص. 166)، وقد كان إعزى وهدى حسب ما ورد في المذكرة نفسها يعتبر أباه ميتا منذ اليوم السابع لولادته، حيث كان هذا الوالد قد أوصى بثلث تركته للمؤذنين، وجعل أمه (جدة إعزى للأب) وصية على الباقي مخافة غضبها، هذا الفعل الذي قد نستشف منه مدى استشعار الوالد لما سيكون للولد في المستقبل من رأسمال رمزي سيفتح له باب الرأسمال المادي، على أن أهم ملاحظة يمكن أن نلاحظها انطلاقا من المذكرة هو الاهتمام الذي أولاه لقواعد ومظاهر القرابة والزواج، ودور أم الأب يدل منذ البداية على عدم رسوخ أولوية القرابة الأبوية، هذا ما تركز عليه بصفة أساسية صعوبة دلالة العلاقة المكانية جماعة أم الأب وجماعة أم الأم، فيوضع بذلك إعزى وهدى من خلال ما ورد على لسانه في موقع يعترف بأولوية القرابة الأمومية إذ يقول: "وكان قد سماني (الأب) على اسمه محمد، فلما اختلفت جدتَي في تسميتي فتمسكت أمه بتسميته وصارت تدعوني محمد وكذلك غيرها من الأهل، ونقلتني أم أمي إلى اسمي فكانت هي ومن ولاها تسميني أبا يعزى. ثم غلب علي هذا الاسم لجريان تسميتها لي على الغلبة، إنها كانت محسنة في حقي والقلوب مجبولة على حب من أحسن إليها " (السوسي، 1960، ص. 166)، فالشكل الذي ورد به نظام التسمية إذاً يعتبر أم الأم وحدها جدة حقيقية، فهي تتمسك بحقها في تسمية الوليد وتربيته مما عزز موقعها لدى الراوي.

وهنا تظهر مدى المكانة التي تحتلها المرأة في المجتمع وقتئذ، ودور الجانب الأمومي في المجتمع من ناحية الانتساب والإرث عن طريق الأم ونمط الزواج (Matrilocalité)، وهي مظاهر تجسد السلطة الرمزية للمرأة إن لم نقل ترسبات تدل على ما كان فيه للمرأة من نفوذ قوي ومكانة بارزة، ولكن هذا لا يؤدي بنا إلى حد اعتبار المجتمع آنذاك مجتمعا إميسيا (Matriarcal)، ففي النمط المحدد بالمجتمع البطريكي والنسب الأبوي الأحادي (patrilinéaire) نجد أن سلوك ابن الأخت تجاه أخواله وهؤلاء تجاه ابن ابنتهم هو نتيجة سلوك الابن مع أمه وطبيعة العلاقة الحميمية بينهما (بوبريك، 2005)، هذا الارتباط بمرجعية الأمومة الذي لم يكن ليشكل إعزى وهدى عنصرا شاذا وحالة فريدة بخصوصه، بل إننا نجد هذه المرجعية حاضرة لدى العديد من المتصوفة المشهورين مثل أحماد وموسى الذي كان يسير "ثلاثة أشهر في يوم واحد، وأنه نادته أمه من مسيرة سنة فرجع" (الراجي، 1999،ص. 45)، ثم محمد الكنتي الذي نشأ مع أخواله أبدوكل ولقب بلقب جده للأم محمد بن كنت (الكنتي، 2013).

2.1.3. نشأته

يمكن أن نقسم مراحل نشأة الشيخ إعزى وهدى إلى مرحلتين أساسيتين:

– مرحلة الطفولة واليفاعة:

تميزت هذه المرحلة بولوج إعزى وهدى إلى الكتاب بعد بلوغه خمس سنين، حيث لازمه ولم يهرب منه يوما واحدا، كما أنه لم يعجز قط عن حفظ لوحه ولو في حالة واحدة، هذه الإشارة التي تدل على صعوبة المقررات الدراسية، بحيث لا يستطيع الطلاب مسايرتها فيضطرون إلى الهروب من الكتاب، ويظهر أن الجدة للأم كان لها حضورها الوازن خلال هذه المرحلة من خلال تلقينها له بعض العلوم الدينية والتكفل به ماديا حتى كان "لا يعرف الوالدة قط من إحسانها " (السوسي، 1960، ص. 68)، وبعد بلوغه سن اليفاعة (10 سنوات فما فوق) لاحت عليه بعض علامات التفريط والخذلان وذلك من خلال "التشوف إلى الشهوات والتراخي في العبادات والالتفات إلى المخالطات" (السوسي، 1960، ص. 68). إلا أن هذه المرحلة العابرة سرعان ما مرت معلنة بداية مرحلة جديدة اتسمت "بظهور الحكمة الربانية" وسلوك طريق القوم.

– مرحلة دخول الطريقة والخروج إلى آسا:

تحت عنوان "فصل فيما ظهر من الحكمة الربانية" يسرد الشيخ حيثيات دخوله لطريقة القوم، وكيف انتقل من زمن التفريط والخذلان إلى زمن الهداية، يقول "لما والصلاح إذ كان بعد أيام كثيرة عما ذكر أعلاه، أخذت في الضحك مع أصحابي [...] ثم دخلت المسجد وذلك عند ضحى يوم الجمعة، فإذا أنا بأناس جلوس معهم رجل أحمر أدعج العينين [...] فدعاني فجئته على استحياء، وقعدت بين يديه متأدبا [...] ثم قال لي: الله تعالى يتوجك، أو ما في معنى ذلك [...] فما كان سواد تلك الليلة وبياض ذلك النهار إلا وقد فتح الله علي [...] ولما كانت ليلة السبت الموالية لتاريخه بت مع جماعة طلبة وغيرهم[...] لما يعتاده الطلبة وغيرهم من الضحك والفرح وغيره [...] فقال قائل فلنذكر كما يفعل الفقراء[4]، قصدوا بذلك محاكاتهم قصد الاستخفاف بهم فما كان إلا أن ذكروا، فكأنما سرى سر ذكرهم لقلبي حقيقة لا شعور لي به قبل، وكنت أولا لا اعلم ما الفقر والفقير. فبالله تعالى ما أصبحت يومي ذلك حتى عزفت نفسي عن كل شيء سوى طلب الإخلاص" (السوسي، 1960، ص. 87)

إن النص لا يفصح عن اسم الشيخ الذي أدخل إعزى وهدى إلى الطريقة حيث اكتفى بذكر أوصافه الجسمية (أدعج، أحمر العينين)، ولا عن طريقته في التصوف، وهي أمور كانت لتمكننا من معرفة وتحديد سنده الصوفي، إلا أنه مع ذلك يظهر مدى التحول العميق الذي شهدته حياة الشيخ بعد ولوجه عالم التصوف، حيث سيشكل ذلك إيذانا ببدء مرحلة جديدة من ملازمة الخلوات وترك الأصحاب وطلب الإخلاص "حتى ظهر فيه حسن الإجابة وتخلص له تحقيق الإنابة. حتى اعلمه الله بالاعتصام بحبله وعصمه بالتعرض لفضله، حتى مدت له الأرض مدا، وتوجهت له الخلائق ووجلت له القلوب محبة له،

وأشرقت له النفوس [...] وفتح الله تعالى عليه من نعمته أبوابا لا يقدر العاقل على إحصائها" (السوسي، 1960، ص. 171)، ويظهر أن إعزى وهدى بعد سلوكه طريق القوم لم يقتصر علو شأنه على العامة فقط، بل أصبح أيضا له شأن كبير حتى داخل الأوساط الصوفية، وهو ما تجسد في حادث دخول المجلس، إذ يقول في مذكراته الخاصة (1960) "ثم دخلت مجلسا ممتلئا بالناس، فجلست آخر المجلس فقيل لي ارتفع إلى صدر المجلس يا أبا يعزى ويهدى، فقال أنا الصدر فأينما جلست فهو صدر المجلس" (ص. 69)، غير أن ما تجدر الإشارة إليه هنا هو كون المصادر تقف عند هذه المرحلة من طفولة الشيخ، دون أن تفصح عن باقي تطوراتها والتي من شأنها تحديد تطلعات الشيخ السياسية والعسكرية المستقبلية أو حيثيات وأسباب انتقاله إلى آسا.

2.3. انتقال الشيخ إعزى وهدى إلى آسا

يعتبر الحسم في مسألة خروج الشيخ إعزى وهدى إلى آسا أمرا صعبا في الوقت الراهن ما دامت المصادر المتوفرة لا تتيح إمكانية ذلك، الأمر الذي جعلنا نطرح مجموعة من الفرضيات على شكل تساؤلات حول أسباب وحيثيات خروج إعزى وهدى إلى مجال آسا:

– هل كان هذا النزوح نزوحا عاديا لا يخرج عن ما تواطأ عليه المتصوفة من هجرة مرابض العمران إلى غياهب الصحراء؟ وإذا كان الأمر كذلك لماذا تم اختيار آسا من بين باقي المناطق؟ هل ذلك راجع إلى قدسيتها كما يتكرر في العديد من الوثائق المكتوبة والشفهية؟

– هل للأمر علاقة بمواقف الشيخ السياسية والفكرية، بحيث قد يكون خروجه إلى آسا إما هروبا من قمع السلطة أو مبعوثا من طرفها؟

– هل يكون الأمر له ارتباط بما تواطأت عليه القبائل من استدعاء آل البيت والمتصوفة للإقامة بين ظهرانيها اعتقادا منها بأن وجود هؤلاء يضمن لهم البركة في مالهم ونسلهم، ويوفر لهم حكما منزها يحتكمون إليه لحل مشكلاتهم ، فيكون بذلك آل آسا قد استدعوا إعزى وهدى اعتقادا منهم في بركته، هذا الاعتقاد الذي استمر حتى بعد وفاته حيث ظل الرجل المبجل الأول بالمنطقة؟

– إذا كان اختيار موقع زاوية ما، يخضع لجملة من الاعتبارات يكون من ضمنها ما توفره المنطقة من إمكانيات طبيعية واقتصادية وحمائية (بكاري، 1984)، فهل يكون إعزى وهدى قد اختار آسا لهذه الاعتبارات؟ وإن افترضنا ذلك، فما هي الإمكانيات الطبيعية التي توفرها آسا إذا علمنا أنها توجد ضمن وسط صحراوي؟ هل يكون هذا الوسط الصحراوي هو الدافع لتأسيسها بهذا المكان كعامل للحماية؟ أم أن الأمر له علاقة بموقعها باعتبارها ممرا لطرق القوافل التجارية خلال العصر الوسيط؟

إن تأكيد هذه الفرضيات أو نفيها يظل رهين ظهور وثائق جديدة، غير أن توفر بعض القرائن يسمح لنا بالترجيح، فمن خلال بعض المصادر تظهر مدى المكانة القدسية التي تحتلها آسا في النفوس، إذ يقول

عنها صاحب الذهب الإبريز أحمد اللمطي (2007) "وسألته (شيخه) رضي الله عنه هل يكون الديوان في موضع آخر غير غار حيراء، فقال رضي الله عنه نعم يكون في موضع آخر مرة في العام لا غير، وهذا الموضوع يقال له زاوية أسا بفتح الهمزة والسين بعدها ألف خارج أرض سوس بينها وبين أرض غرب السودان، فيحضره أولياء السودان[...] فقلت وهل ثم جمع آخر في غير هذين الموضعين؟ فقال: نعم يجتمعون ولكن لا يجتمع نحو العشرة منهم في موضع قط إلا الموضعين السابقين" (ص. 299).

ويبدو أن هذه المكانة قد اكتسبتها آسا من خلال ما أسبغته عليها الذاكرة الشعبية من صفات التقديس باعتقادها أنها بلد 366 ولي، وهو ما عكسته الكتابات الأجنبية حول المجال – مادام جزء كبير منها هو تدوين للرواية الشفهية– حيث يقول عنها لاشابيل (1934) "آسا مدينة مقدسة يقال أن النبي يمر منها بين الفينة والأخرى، وكذلك صحابته، إنها مركز اجتماع الصلحاء بحيث يصل عدد القبور إلى 366 قبرا" (ص. 101)، الأمر نفسه نجده عند دوفورست (DE FURST) (1939) حين اعتبر آسا "مدينة مقدسة دفن بها 366 من أولياء الله الصالحين" (ص. 8).

يظهر أن المزارات المتعدد في المنطقة قد تجاوزت حدود كونها أماكن مقدسة لأداء زيارات عادية، لتسبغ قداستها على المجال كله بما في ذلك الجمادات "كأورير الأنبياء" الذي "ينتصب في الجانب الآخر للوادي المحاصر لجبل آسا[...] يعتبر تسلقه جزءا من مناسك الحج إلى آسا " (PUIGAUDEAU, 1968, p. 367)، حيث "يعتقد الحراطين أن الرسول محمد قد زاره "، لذلك "تلبى مند هذا الحدث رغبات المؤمنين الذين يصعدون للأول مرة هذا التل" (GOUDIO, 1985, p. 88).

غير أن الاعتقاد في "قداسة آسا" لم يقتصر على الثقافة الشعبية فقط، بل نجد له امتدادات داخل الأوساط العالمة وهو ما تجسده بعض المخطوطات التي تصف آسا ببلد الأولياء والمتصوفة بمختلف مراتبهم الصوفية، إذ يقول عنها محمد الإنجيتي البربوشي (1303) "وأما قرية الأولياء في جبال النحاس، وهي بلاد إداوكيس، وهي الأغنان، وهي آسا جعل الله فيها من الأغواث سبعا وثلاثين [...] وأما النقباء فهم عددهم سبع وسبعون جعل الله منهم ثمانية في [...] آسا [...] وأما الفضلاء جعل الله منهم ثمانية في بلاد آسا [...] وأما الخطباء جعلهم الله سبعا لم يزل في الدنيا، وذكر منهم اثنين في آسا وهما سيدي إبراهيم الغزواني ومريده أبو عبد الله الهزميري [...] وأما الأوتاد الأربعة[...] واحد منهم في بلاد إداوكيس [...] وهي آسا [...] جعل الله فيها من الأولياء الظاهرين عشرين وأما في الباطن لايعلم عددهم إلا الله سبحانه" (ص. 2). على أن شهرة المنطقة بين العامة والخاصة بكثرة الأولياء قد دفع العديد من كبار المتصوفة لزيارتها مثل أبو عبد الله الهزميري وأبي مدين شعيب، فلا يستبعد في هذا الإطار أن يكون خروج إعزى وهدى إلى آسا تحذوه نفس أسباب المتصوفة الآخرين دون أن يعني ذلك إقصاء الفرضيات الأخرى التي طرحنها مسبقا، خاصة وأن إعزى وهدى استقر بآسا وعمل على بناء زاويته بها، ولم تكن زيارته لها زيارة مرحلية فقط. ويبقى أن بناء الزاوية نفسه يطرح إشكالات من قبيل:

– هل إعزى وهدى هو المؤسس الفعلي لزاوية آسا أم أن هناك مؤسسين آخرين خاصة أن المنطقة شهدت توافد العديد من الشيوخ الذين رابطوا بالمنطقة من أجل نشر الإسلام؟

– ما مدى مصداقية الرأي القائل بأن عيسى بن صالح هو المؤسس الحقيقي لزاوية آسا؟ (MEUNIE, 1982)، هل يمكن أن يكون فعلا المؤسس أم أنه فقط عمل على تأسيس رباط تطور فيما بعد إلى زاوية؟

– هل يمكن أن تكون زاوية آسا هي المرحلة المتطورة من ذلك الرباط؟

إننا نرجح أن يكون إعزى وهدى هو المؤسس الفعلي لزاوية آسا، وذلك راجع إلى كون معظم الكتابات حول هذه الزاوية تشير إلى أن إعزى وهدى هو المؤسس الفعلي لها (PUIGAUDEAU, et M. SENONES, 1952; GOUDIO, 1985; MONTEIL, 1948)، ويبقي ما أشار إليه كل من لاشبيل (1934) من كون سيدي محمد الشبكي هو المؤسس، أو مونيي (1982) الذي قال بأن مؤسس الزاوية هو عيسي بن صالح، يحتاج إلى إعادة النظر مادامت هذه الكتابات قد اعتمدت بشكل كبير على الرواية الشفهية ولم تدعم فرضياتها بوثائق مكتوبة إلا فيما ندر، هذا الاعتماد على الرواية الشفهية هو الذي أوقع مونيي نفسه في تناقض حينما صرح في مكان آخر من كتابه بأن تأسيس الزاوية تأخر حتى غزو عرب معقل خلال القرن 13م (MEUNIE, 1982). على أن الذي تجب الإشارة إليه هو أنه من المحتمل جدا أن تكون الزاوية هي المرحلة المتطورة من الرباط الذي أقامه سيدي عيسى بن صالح مادامت كل القرائن التاريخية تدل على كون الرباط أسبق إلى الوجود من الزاوية، وأن هناك رباطات تحولت إلى زوايا مثل زاوية سيدي بلال التي أقيمت في مكان رباط تفكروت بفزواطة، وزاوية أبي الحسن التي بنيت في مكان رباط أغرغر بمجزيطة في الجنوب الشرقي المغربي (البوزيدي، 1964).

3.3. تأسيس الزاوية

جاء تأسيس الزاوية استجابة لضرورة ملحة آنذاك، تمثلت في تزايد إقبال الطلبة والمريدين على الشيخ، فكان أن فكر في إيجاد مكان لإيوائهم، وعلى أي فعمل ونشاط الشيخ عرف انطلاقته الأولى من الزاوية التي أصبحت تعرف توسعا مهما، هذه الأهمية التي تعني الزيادة في استقطاب المردين والطلبة حيث استقطبت مريدين من تكنة، والشرگ، وجبال الأطلس، وأوفران، ومجاط، وأيت براهيم، ومريبط، وأيت أرخا، وأيت مسعود، وأزوافيط،و أيت زكري، وأيت ياسين، وكل الصحراويين (GOUDIO, 1985).

ويبدو أن ذلك شكل دعاية روحية واجتماعية للزاوية، كما عزز في الوقت نفسه أدوار الشيخ حيث سيعمل على إنشاء مدرسة عسكرية يعلم فيها إلى جانب الفروسية مجمل الفنون الحربية بما فيها استعمال الأسلحة المتطورة، بل إن من بين أسباب شهرته معرفته للكيمياء التي كان يستعملها للأغراض الحربية،

وهذا أمر لا يعني أنه مكتشـــف البارود كما ورد في كراماته (المرغتي، د. ت)، بقدر ما يفيد توفره على أكثر الوسائل نجاعة للتسيد على المنطقة.

بعد إنشاء مدرسة عسكرية، سيدخل إعزى وهدى في معارك متعددة تحت راية الجهاد من أجل فرض السيطرة وتثبيت مبادئ الإسلام بين ساكنة المنطقة التي لم تكن قد تشبعت بتلك المبادئ بشكل كاف، وحتى وإن كانت بعض المخطوطات حول آل إعزى وهدى (الانجيتي، 1303؛ المرغتي، د. ت؛ MONTEIL, 1967) قد تحدث عن استمرار الوثنية والمسيحية إلى حين قدوم إعزى وهدى إلى المنطقة خلال القرن 13م، حيث سيعمل على القضاء عليها وهو ما نقلته عنها مجموعة من الدراسات الأجنبية دون تمحيص كما ورد في مقال لبويكادو وسينون (1929) من كون إعزى وهدى هو "من نشر الإسلام بالمنطقة خلال ق 13م وألغى منها وثنيي إداوكيس ونصارى إلمتن والفنيك"(ص. 11)، إلا أننا نتحفظ من هذه المعلومات وذلك لعدة أسباب:

– أسلمت المنطقة بعد قيام الدولة المرابطية التي عملت على نشر وتوطيد المذهب السني المالكي بمختلف أرجاء المغرب الأقصى (ولد السالم، 1999).

– عدم ورود أي إشارة عن التواجد الوثني أو المسيحي بالمنطقة في المصادر الوسيطية والتي لم تكن لتتغافل عن مسألة مهمة تتعلق بالعقيدة.

– ذكرت المصادر التي أرخت لقيام الدولة المرابطية أن يحيى بن إبراهيم الكدالي قام برحلة إلى مكة قصد الحج وذلك سنة 427هـ/ 1035م (ابن عذارى، 1983)، وهو ما يدل على تمثل المجتمع الصحراوي للإسلام ووعيه بأركانه في فترة مبكرة (ق11م). فهل يعقل استمرار الوثنية والمسيحية كاعتقاد راسخ لدى الساكنة حتى القرن 13م؟!

وارتباطا بالأسباب المشار إليها أعلاه يبدو أن إمكانية استمرار الوثنية والمسيحية في المنطقة إلى حدود القرن 13م يظل أمرا غير وارد حسب اعتقادنا، فيبقي تفسير ما ورد في النصوص السالفة الذكر يخضع لثلاث احتمالات:

<u>الاحتمال الأول</u>: كون المنطقة قد عرفت وجود عناصر خارجية، وهو ما يحيل له مخطوط مختصر سبيل الهدى (د. ت) حيث اعتبر " أنهم قتلوا في سبيل الله من النصارى والروافد وغيرهم الذين لا يؤمنون بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم" (ص. 10)، يضاف إلى ذلك أن مناطق مجاورة لها من الشمال والجنوب شهدت خلال فترات تاريخية معينة وجود مجموعات خارجية كما هو الحال بالنسبة لسجلماسة حيث تم تأسيس إمارة بني مدرار الصفرية سنة 140هـ/757م (محمود إسماعيل، 1985)، ثم منطقة الجنوب الموريتاني حيث أشارت بعض المصادر إلى وجود مدينة بالمنطقة قبل قيام الدولة المرابطية تدعى بمدينة الكلاب (ولد أنبوجة، ص. 82) ووصفت أهلها بالنصارى، هذه التسمية التي أولها بعض الباحثين إلى كونها تدل على استقرار مجموعات خارجية إباضية بالمنطقة أنذاك، وذلك بالنظر إلى كون

الكلاب كانت عادة لدى هذه المجموعات (LEWiCKi, 1962)، فمن الممكن إذاً أن يكون إعزى وهدى قد حارب هذه المجموعات التي قد تكون استقرت بالمنطقة على أساس أنها مجموعات نصرانية خارجة عن الدين.

الاحتمال الثانـــــــي: من المعلوم تاريخيا أن قبائل وادي نون قد ثارت ضد الموحدين، فتم قمع هذه الثورة بأكبر حملة على يدي أبي حفص القائد الأعلى للقوات الموحدية ســـنة 548هـ/1153م (البيدق، 1971)، فلا يستبعد في هذا الإطار أن يكون قدوم إعزى وهدى إلى آسا بمثابة تجسيد للسلطة الموحدية داخل وسط يحن باستمرار إلى أمجاد الدولة المرابطية، فيكون بذلك إعزى وهدى قد حارب كل خارج عن المذهب الموحدي على أساس أنه كافر ونصراني، وما يدعم ما ذهبنا إليه كون مصادر هذه الفترة خاصة منها تلك التي تشايع الموحدين تعتبر "التوحيد" بمثابة دخول أولي في الإسلام، هذا ما نتأكد منه بوضوح من خلال مدونة زاوية آسا التي تصف وادي نون بواد الحرب وتغاجيجت بالنصرانية، ولا غرابة في ذلك خاصة إذا "علمنا أن الأساس الفعلي لهذا التصور كان مبني على الأحكام الموحدية، وأن المدونة تعتبر إعزى وهدى مقياسا محليا لمحاربة المسيحية والكفر" (ناعيمي، 1989، ص. 2070).

الاحتمال الثالـــــث: من المحتمل أن المد الأعرابي الذي سبق مولد إعزى وهدى بثلاثين سنة قد شكل يومها عاملا أساسيا آخر لشحذ حملة الشيخ وأتباعه على كل من اعتبروه خارجا عن العقيدة الحقة، وما يزكي هذا الاحتمال هو كون مجموعة من العلماء كانوا يعتبرون جهاد الأعراب الذين يمارســـون الحرابة أوجب من جهاد الروم (اليدالي، 1990)، كما أن في تسميتهم بمستغرقي الذمم، دليل واضح على اعتبارهم خارج الشرع.

وبغض النظر عن الأسباب والدوافع التي كانت وراء مشروع إعزى وهدى "الجهادي"، فالمهم هو كونه استطاع "بفعله الجهادي" إخضاع مجال شاسع لسلطته السياسية والروحية[5]، صاهرا بذلك شخصية كاريزمية اســـتطاعت أن تجذب حولها العديد من الأتباع ومن مختلف القبائل البدوية، وقد كان على رأس هؤلاء الأتباع حراطين آسا الذين تحول جزء منهم إلى خدام للزاوية (La CHAPELLE, 1934)، وسيستمر هذا الوضع على ما هو عليه إلى حين وفاة إعزى وهدى "في أول ربيع النبوي عام 727هـ، ودفن في بقعة خلوته في زاويته بآســة المذكورة وقبره مشــهور عند الخاص والعام" (المرغتي، د. ت، ص. 4)، وقد ترك وراءه ذرية حصرتها المصادر في سبعة أبناء دون البنات[6]، على أن وفاة الشيخ لم تضع حدا لشهرة الزاوية وتوسع نفوذها بل استمرت في استقطاب الأتباع والمريدين من جميع جهات المغرب الأقصى، بل وحتى من خارج حدوده التاريخية[7] (المرغتي، د. ت، ص ص. 1-2).

وتجدر الإشارة إلى أنه رغم الإشعاع الكبير الذي عرفته الزاوية، إلا أن هذا الإشعاع لم يخلف تراكما على مستوى التدوين، فباستثناء مدونة زاوية آسا والوثيقتين اللتين أوردهما محمد المختار السوسي، ثم

مخطوط "مختصر سبيل الهدى في مناقب أيت إعزى وهدى" وبعض الوثائق المتأخرة، فإن التراث المكتوب لهذه الزاوية يظل غائبا، ولعل السبب في ذلك يعود إما إلى ضياع جل مؤلفات الزاوية خاصة إذا علمنا أن محمد بن سـعيد المرغتي قد أشـار في مخطوطه إلى بعض هذه المؤلفات مثل كتاب "سـبيل الهدى في مناقب أيت اعزى وهدى "، وكتاب آخر منسـوب للشـيخ عن كراماته وفضـائله، بالإضـافة إلى كتاب عن مناقب أيت اعزى وهدى (المرغتي، د.ت، ص ص. 2-5-6)، وقد يكون السبب راجع إلى كون المشروع الجهادي الذي قامت عليه الزاوية حال دون الاهتمام بالتأليف، ومن ثم غياب مؤلفات حول الزاوية[8].

صورة (1): زاوية أسا (جريدة أصوات، 2018، ص. 1) تم الاسترجاع من الرابط: الموسم الديني لزاوية أسا ما بين 19 و24 نونبر الجاري- جريدة أصوات (journalaswat.com)

صورة (2): ضريح الشيخ إعزى وهدى (ناجيه، 2016، ص. 1) تم الاسترجاع من: صلحاء الصحراء بين الإشعاع الديني والاستنفار الجهادي الشيخ إعزى وهدى نموذجا – بوابة الرابطة المحمدية للعلماء(arrabita.ma)

4. "أحفاد" الولي: النموذج التسييري أو مرحلة ما بعد الجد المؤسس

راكم الشيخ إعزى وهدى طوال فترة استقراره بمجال آسا رأسمالا رمزيا كبيرا جدا، ستعمل ذريته وأتباعه من بعده على استثماره وتحويله إلى رأسمال مادي "فظاهرة الوَلاية ليست مفردة من مفردات التاريخ فقط وليست دالة على ذاكرة محنطة وكأنها موضوعة في صندوق من ثلج، بل إنها ظاهرة متحركة يستعملها الفاعلون أحيانا في إثبات النسب وأحيانا أخرى[...] في مراكمة الأرض، ويحتاج إليها الفاعلون أيضا في المواجهات الخارجية المادية منها والرمزية" (إيلكمان، 1989، ص. 7).

في هذا الإطار سعى أيت إعزى وهدى إلى السيطرة على مجال شاسع تظهر أهميته من خلال حجم الأراضي المسقية وأهميتها، وكذا من خلال العيون والسواقي المراقبة، هذه السيطرة التي تجسدها الكرامة المتواترة بين أيت اعزى وهدى، والتي يقول عنها محمد بن سعيد المرغتي (د. ت) "جعله [إعزى وهدى] الله هو وذريته على سائر الماء الخفي تحت الأرض، فقد رأيت في مناقبهم أن كل موضع سكن فيه أيت اعزى وهدى لابد فيه من الماء ولو لم يكن فيه في الأصل، فإنه لابد أن ينبع الله فيه الماء ويخلقه في كل مكان سكنوا فيه أيت إعزى وهدى" (ص. 5-6).

إن هذه الكرامة رغم كونها تدخل في إطار ما حاول أيت إعزى وهدى أن يضْفوه على أنفسهم من بركة وقداسة، إلا أن ذلك يقتضي منا وضع البركة في سياقها المادي وتجريدها من طوباوية المعتقد، فرغم كونها مجرد "كرامة" إلا أنها تترجم السيرة الحقيقة لحصيلة واضحة من الذاتية العصبية في كامل مظاهرها ، إن البركة في هذه الحالة ليست سوى تزكية للمصلحة الوهداوية راسمة أمامنا أمثلة حية للتزاوج بين الاجتماعي والرمزي التي نلمسها في التأرجح بين ما هو مجالي واقعي وبين ما هو ذهني غيبي، فتكون بذلك "الكرامة" تجسيدا لهذه الرغبة في السيطرة على مادة حيوية في مجال يعاني من ندرة الماء وبالتالي السيطرة على كل الموارد الاقتصادية المرتبطة به.

هكذا إذاً سيطر أيت إعزى وهدى على مجالات زراعية شاسعة، عملوا على استغلالها حيث "كانوا يحرثون المعاذر[9] كلها من ناحية واد درعة[10] يمينا وشمالا طولا وعرضا، فلما هزموا النصارى من زاگورة[11] بواد درعة ملكوها بالكلية وذلك آخر المفتوحة (كذا)، ومن زاكورة يحرثون وادي درعة كله ويستغلون من الخنك الذي برأس كتاوة والغزلان إلى أمام زاويتهم بآسة، وذلك إلى واد نون مع تلك النواحي إلى الساقية الحمراء بلا منازع لهم ولا معارض" (المرغتي، د.ت، ص. 11)، كما " كانوا يستغلون نواحي القبلة[12] من بلد الشرگ إلى بلد الصحراء، وكذلك وادي درعة ومعاذره من بدئه إلى منتهائه، وكذلك جبل باني[13] وأحوازه طولا وعرضا إلى بلد يقال له زمول، وقد كانوا يعزبون في فصل الربيع ويستغلون ما فيه من المياه والأشجار[...] ويستغلون جميع زيتون واد درعة ويسمى في ذلك الوقت واد الزيتون، وكذلك جميع المياه التي انصدرت من جبل تيسنت[14] كلها لهم أرضا وأشجارا، ومن ثم إلى مدولة[15]، وإلى ويدان أيت هارون،

ومن ثم إلى تمنرت[16]، وإلى تاغجيجت، وإلى زاويتهم في آسا [...] ومن ثم إلى واد ماسة، وإلى واد الحرب وهو واد السوس[17]، وكذلك بلد سوس كلها الأدنى منها والأقصى. كذلك بلد رودانة[18]، وكذلك جبل درنة[19] من مبدأه إلى منتهائه (كذا)، وكذلك ما انحدر منه من المياه يمينا وشـــمالا إلى غير ذلك من بلد المغرب كلها طال علينا ذكر ذلك كله" (المرغتي، د. ت، ص. 19).

ولم يقتصـر أيت إعزى وهدى على مراقبة الأراضـي الزراعية فقط، بل سـعوا إلى اسـتخلاص إتاوات سـنوية على شـكل هبات وزيارات كانت "تتخذ بشـكل عام صـورة دفع عيني لم يكن يقتضـي مع ذلك أي شـكل آخر من العطاء الذي كان يتجلى فيه بكيفية أفضـل الكرم الفردي" (MICHEL, 1997, p. 343)، فكان " كل كانون [يؤدي] ذبيحة المجاوزة عليه العام، وجزة[20] لكل خيمة ودار الذي فيها الغنم، وثلاثة جمعة من الزبدة في كل رأس العام إلى العام" (سـلسـلة نسـب آل إعزى وهدى، د.ت، ص. 2) أي "جميع القبائل من حصـن الكتف المشـرف[21] إلى البحر إلى السـگيى الحمراء[22]، ولجيمة العرب على نية الجهاد لأننا نخرج الكفار في هذه البلدان والبادية" (سـلسـلة نسـب آل إعزى وهدى، د.ت، ص. 2). وقد كانت الإتاوات المدفوعة تشـكل الجزء الحي من الأملاك، وكانت ترسـم حول الزاوية تجمعات ولاء متشـابهة في غالب الأحيان، يضاف إلى ذلك ما كان يمنحه الأفراد من هبات وأعطيات.

ويبدو أن انتشـار آل إعزى وهدى في سـوس والمناطق المجاورة له وما لعبوه من أدوار طلائعية في محاربة المد المسيحي خلال القرن 16م كما سبقت الإشارة إلى ذلك، قد أسهم في تنامي ممتلكاتهم وازدياد حجمها (عقد التزام بين جماعة آل علي ومنصـور وسـيدي يحيى العزى وهدي وذريته من بعده، د.ت)، لكن يبقى أن اسـتغلال هذه الأملاك ظل مرتبطا بمالكيها[23]، وفي أحسـن الأحوال المدارس الوهداوية التي أسسـها الحفدة والمريدون في مختلف مناطق سوس (السوسـي، 1984)، دون أن تفصـح المصـادر عن مدى الارتباط الروحي والمادي بين هؤلاء الأفراد وتلك المدارس والزاوية الأم بآسا.

هكذا إذاً أسهمت العوامل السالفة الذكر وعلى امتداد أزيد من ثلاثة قرون في تأثيل الأملاك بين أيدي أيت إعزى وهدى، راسـمة بذلك أنماطا من التحول المادي للبركة، ومبرزة مدى الحرص الذي تظهره المجموعة الإستراتيجية الدائمة حول ولي صـالح يسـعى من خلاله الفاعلون الذين يحركون هذه المجموعة إلى تفعيل الأداء اليومي الذي يبقي مصـالحهم المرتبطة بهذا الولي قائمة (الجويلي، 2001)، غير أنه ابتداء من ق 17م ستتضـافر مجموعة من العوامل معلنة بداية انحصـار النفوذ الروحي لأيت إعزى وهدى وما يعنيه ذلك من بداية تراجع أعداد الأتباع والمردين، هذه العوامل التي يمكن أن نحصرها في ما يلي:

- احتجان الثروة وتأثيل الأملاك على حساب المجموعات الأخرى خصوصا حراطين آسا.
- تقلص الإشـعاع الروحي وتراجع الدور العلمي للزاوية، في وقت غطت فيه شـهرة الشـيخ أحماد أوموسى (ناعيمي، 1989)، وإشعاع زاوية تامگروت على باقي الشخصيات الصوفية والزاويا في الجنوب

المغربي إلى درجة أصبحت فيها زاوية آسا من بين الزاويا التابعة لزاوية تامجروت (GOUDIO, 1985)، والتي كانت تراقب 120 زاوية منتشرة في كل أنحاء المغرب (LAROUI, 1980).

– توالي سنوات الجفاف وما رافق ذلك من انتشار للمجاعات والفقر، كان المتضرر الأكبر منها الفئات الدنيا داخل قصر آسا (كربخال، 1984).

– ضعف التواصل بين الزاوية الأم بآسا وباقي المدارس الوهداوية المنتشرة بسوس.

على أنه وبالرغم من تراجع النفوذ الروحي لزاوية آسا، إلا أنها ظلت تحتل مكانة مرموقة ومقدسة لدى ساكنة المنطقة سواء في ذلك الرحل والمقيمون، وهو ما يظهر من خلال تسميتها بـــ"أمَا الزاوية" مفصحة بذلك عن واقع الذهنية البدوية انطلاقا من تحويلها لمؤسسة اجتماعية إلى واسطة ونموذج لذاته في سلم الارتقاء الروحي تنجب قيما وافرة للتبجيل والتخصيص.

وتظهر تلك المكانة المقدسة أيضا من خلال استمرار رحل أيت أوسى حتى بعد صراعهم مع آل إعزى وهدى، في تبجيل الزاوية والاهتمام بشؤونها والسهر على تنظيم موسمها. يضاف إلى ذلك أن تواصل التأثير الروحي للزاوية لم يقتصر على العامة فقط بل تعداه إلى كبار المتصوفة كما سبق أن أشرنا إلى ذلك، و في مقابل استمرار النفوذ الروحي للزاوية – رغم ما عرفه من تقلص كبير– فعلى العكس من ذلك سيعرف نفوذ أيت إعزى تراجعا كبيرا، وهو ما تكشف عنه وثيقة مؤرخة ب 1081هـ/1670م حين تتحدث عن هجوم الحراطين على فرع "إد براهيم أوعبد الله" من أيت إعزى وهدى وسرقة منازلهم و طردهم خارج القصر[24]، تقول الوثيقة "الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه، أشهد لدي [...] أن المرابطين أبناء سيد إبراهيم بن عبد الله، منهم سيد عبد الله بن إبراهيم، والسيد علي بن إبراهيم، والسيد آمحند أُبراهيم، حضروا لهم حين رحلوهم الأسمريين أعني الحراطين أهل أسا في ديارهم في قصر بني إنجيت وبني مليل[25] غصبا وظلما، أول ما نهبوا لهم ثلاثين من العبيد عشرا منهم ذكورا والإناث عشرين وتسعة أزواج من أساور الذهب بمائة مثاقيل ..." (وثيقة هجوم الحراطين على دور إد ابراهيم أوعبد الله وسرقتها، 1670م).

بعد هذا الحادث وسعيا من أيت إعزى وهدى إلى تحصين مكتسباتهم المادية، ونتيجة لتوجسهم من الحراطين، سيعمدون إلى إتباع إستراتيجيتين:

– الإستراتيجية الأولى: الدخول في تحالف مع أيت مربيط القبيلة ذات القوة الزمنية بمجال آسا آنئذ، وسيستمر هذا التحالف إلى حين اكتساح أيت أوسى لمجال آسا، حيث سينتج عنه حرق القصبة وتراجع أيت مربيط نحو فم الحصن وأقا.

– الإستراتيجية الثانية: تسخير سلطة القلم لصالحهم، وهو ما يظهر من خلال العديد من مشجرات أنسابهم المتأخرة والتي غالبا ما تذيل بعبارات من قبيل :"من أبغض أولاد الشيخ إلى آخرهم الذي عندهم رسم كيف هذا يسلط الله عليه لعنته[...] ومن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله"، أو "من أعطى ما

ذكرنا أعلاه فالله يبارك في جميع أمواله وجميع مناولته"، أو "من نظر بعينه أو اليدين أو الفم [يقصد في شجرة النسب] يعطي الصدقة لأولادهم لم يقم من مكانه حتى قضى الله حاجته من الأولاد والبهائم وغير ذلك ببركات الأولياء إن شاء الله".

سيعمل أيت إعزى وهدى إلى جانب ذلك على بناء قصبة في ضفة الوادي المقابلة لقصر أسا، وستستمر سكناهم بها إلى حين اندلاع صراع بينهم وأيت أوسى خلال النصف الثاني من القرن 18م، حيث سيغير على إثره أيت أوسى على القصبة ويحرقونها دون أن يشكل ذلك سببا في النزوح النهائي للفصيل المذكور عن قصبته، إذ سرعان ما سيعود إلى السكن بها بعد ترميمها وإصلاحها (وكاري، 2017).

ويبقى أنه خلال هذه المرحلة سيدخل أيت إعزى وهدى (فرع إد براهيم أوعبد الله) في مواجهة مفتوحة مع حراطين إداونگيت بسبب الخلافات حول الأرض. وهو ما سينتج عنه هجوم حراطين إداونگيت على القصبة سنة 1207هـ/1792م واحتلالها، ثم طرد إد براهيم أو عبد الله إلى أماكن خارج مجال آسا، مثل إگيسل بوادي نون، وتغاجيجت وأوفران بالأطلس...، وسيستقر بها إيداونجيت حوالي 18 سنة قبل أن يغير عليهم حراطين إداومليل سنة 1224هـ/1809م ويخربونها نهائيا (وثيقة هجوم حراطين إداونگيت على قصبة أسا وإخراج إد ابراهيم أوعبد الله منها غصبا، 1225هـ/1810م؛ شهادة سيدي محمد بن عبد الرحمان الصغير الرجراجي وآخرون معه على تخريب القصبة من طرف حراطين إداومليل، 1224هـ/1809م).

ويبدو أن هذا الهجوم جاء في إطار النزاعات المتكررة حول الأرض بين قسمي القصر (إداومليل وإداونگيت)، هذه النزاعات التي جعلت كل طرف يكون في شبه استقلال عن الطرف الآخر في تسيير أموره السياسية والدينية، حيث كان لكل قسم مسجد وإمامه الخاص به، كما كان له جماعته "أيت أربعين" الخاصة به.

خلاصة

تظل أهم الخلاصات التي يمكن أن نخرج بها من هذه الدراسة كون سيرة الوهداويين وصيرورة تشكلهم مرت عبر مرحلتين: مرحلة أولى ترتبط بزمن الجد المؤسس وأبنائه المباشرين، ومرحلة ثانية ترتبط بالأحفاد، أو بعبارة أخرى النموذج التأسيسي (الجد والأبناء) في مقابل النموذج التسييري (الأحفاد)، وإذا كانت ميزة النموذج التأسيسي أنه قام على أساس الاستصلاح وكد اليد مع الحرص على إشراك شرائح عريضة من المجتمع في الناتج وفق جدلية الأخذ والعطاء، والاستهلاك والتوزيع، فإن هذا الأمر يغيب في النموذج التسييري ليحل محله منطق المراكمة، حيث ركن "أحفاد" الشيخ إلى استثمار الاعتراف الاجتماعي بأدوار الرعيل الأول من أيت إعزى وهدى ورأسمالهم الرمزي، لمراكمة المزيد من الأراضي والهبات مع

استبعاد الكد اليدوي ومنطق إشراك الفئات الأخرى من المجتمع لصالح الاستفراد بالثروة والإمعان في التعيش من "البركة"، فلم يلتفتوا إلى مكونات "النموذج التأسيسي" إلا ضمن الحدود التي تخدم مصالحهم.

لقد أدى هذا الأمر، إلى جانب تواري الدور العلمي لزاوية آسا مع تراجع التجارة الصحراوية وتوالي نوبات الجفاف، إلى إدخال المكانة الروحية لأيت إعزى وهدى في ما أسماه ماكس فيبر (M.Weber) بـ"روتنة الكاريزم"(La routinisation du charisme)، تجلت انعكاساتها على أرض الواقع في شكل فتور للعلاقات بين أيت إعزى ومحيطهم الاجتماعي، بل وتوتر هذه العلاقات بعدما فقدت طابعها العفوي ونحت منحى الإلزام والإكراه، فجاءت إجابات ذلك في شكل هجومات متكررة من طرف مكونات القصر الأخرى على الوهداويين، لتظل الزاوية في منأى عن ذلك بما هي رمز للكل، رمز للتعالي عن النزاعات والمشاحنات الإثنية، وإشارة دالة على فعالية خارقة للعادة نجحت في اكتساب أهلية حقة لضمان إدماج الفرق الاجتماعية الخاضعة لها في سياق ثقافي واجتماعي، وأفلحت في إرضاء الحاجات المهمة المادية منها والنفسية لتلك الفرق، كما تمكنت من حفظ ومراقبة الرموز المجسدة لسياقها الاجتماعي، بمعنى مراقبة التعليم الديني والثقافي والإشراف على جميع الأنشطة الدينية والطقوسية وضمان احتكار الشرعية في هذه الميادين.

توصيات:

لقد اقترن ظهور وازدها زاوية أسا بأيت إعزى وهدى، وعلى الرغم من اندثار "الإثنية" المؤسسة على الأقل في محيط أسا نتيجة تظافر عوامل تاريخية واقتصادية واجتماعية، فإن الزاوية استمرت حاضرة بالمجال إلى اليوم وإن تقلص إشعاع تراثها الروحي والعلمي بشكل لافت، لتشكل تراثا ماديا وذاكرة حية تستوجب الصيانة والاستثمار انطلاقا من حفريات الباحثين، الأمر الذي يستدعي منا اقتراح مجموعة من التوصيات في أفق استثمار التراث المادي والرمزي للزاوية ومؤسسيها:

1- ضرورة القيام بأبحاث ودراسات تاريخية وأنثروبولوجية رصينة حول المنطقة وذاكرتها الحية، إلى جانب أبحاث أركيولوجية لاستنطاق المواقع الأثرية الهامة التي يزخر بها الإقليم في أفق تحقيق تراكم منتج في هذا الإطار.

2- أضحى من المعلوم الدور المحوري الذي يلعبه العامل التاريخي على مستوى رسم الخطوط العريضة لجميع السياسات المرتبطة بمجال جغرافي معين، لذلك وجب التأكيد من هذا المنبر على ضرورة استثمار الأبحاث والدراسات التاريخية حول المنطقة وتسويق نتائجها في سبيل تحسين السياسات العمومية والرفع من جودة الحياة في الإقليم، بدل أن تبقى هذه الدراسات حبيسة رفوف الجامعات، وهو مسعاً لا يمكن بلوغه إلا بانفتاح الجامعة على محيطها الاجتماعي والاقتصادي، ذلك أن البحوث المنتجة في المؤسسات الجامعية يمكنها المساهمة في الدخل الاقتصادي للمنطقة باعتبارها مواد ذات أبعاد تنموية في

زمن أضحت فيه التنمية تعتمد على قيمة المعرفة أكثر من اعتمادها على عوامل الإنتاج المادية (الأرض ورأس المال).

3- من منطلق أن الجماعات الترابية لم تعد تلك الوحدات التقليدية التي تقدم الخدمات الإدارية للمرتفقين فحسب، بل أضحت اليوم مطالبة بلعب أدوار مختلفة وعلى عدة مستويات، ومنها المستوى الثقافي باعتباره محورا أساسيا في أجندة القرن الحالي، يبقى إذاً لزاما على الجماعات الترابية للمنطقة المدروسة الانخراط في اقتصاد المعرفة من خلال إدماج نتائج البحوث والدراسات حول المنطقة في مشاريعها التنموية، والاستثمار في تراثها وذاكرتها الحية، والبحث عن السبل الناجعة لجعلها رافعة أساسية للتنمية والرفع من القدرات الاقتصادية للإقليم.

4- إن الجماعات الترابية في المنطقة المدروسة باستثمارها في التراث والذاكرة، وإدماج نتائج البحوث في سياساتها التنموية، ستتمكن من دمج البعد الاجتماعي للتنمية مع البعد الاقتصادي، وتحقيق التكامل بين عناصر هذه العملية المستدامة في أفق تنزيل اقتصاديات التراث بوصفه مفهوما شاملا يختص بحياة المورد التراثي وإدارته، وهنا لابد من التنويه إلى مسألة ملحة ترتبط بأهمية التنمية السياحية، وضرورة تأهيل البنية الثقافية التحتية عبر تأهيل مؤسسات المجتمع المدني الثقافية، في سبيل استدامة الموارد التراثية وتحقيق تنمية المجتمع المحلي.

5- على الرغم من الاهتمام المتزايد الذي أضحى يحظى به موسم زاوية أسا في اهتمامات الفاعلين المحليين، انطلاقا من نقل صفته من موسم ديني خاضع للمنطق القبلي المحض على مستوى التدبير والغايات، إلى مهرجان مؤطر من جمعيات المجتمع المدني والهيآت المنتخبة في رهان واضح على بعده الاستثماري، وهو ما جاءت إجاباته في شكل مخصصات متنامية أخذ يحظى بها المهرجان المذكور من قبل الجهات الوصية، إلا أن نسخه المتكررة كشفت عن اختلالات عميقة على مستوى التسيير وتدبير الميزانيات، الأمر الذي يستدعي وبإلحاح إشراك فاعلين محليين مختلفين بمن فيهم الباحثون ومن تخصصات مختلفة، من أجل تكثيف الجهود وتكييفها مع أولويات الفئات المستهدفة الكائنة والممكنة.

الهوامش:

[1] – آسا مدينة تابعة إدارياً لإقليم آسا الزاك بجهة كلميم واد نون جنوب المغرب.

[2] – يقول عنه صاحب سلسلة الأنوار "وأما الأوتاد الأربعة [...] منهم في بلاد إداوكيس وهي قرية الأولياء وهي آسا [...] واحد وهو سيدي محمد الشبكي وذكر أن قبره في كهف الحمام[...] توفي رحمه الله تعالى سنة أربع وثلاثين ومائة في شهر الله مارس وهو الأول بذلك المكان". (الإنجيتي، 1303، ص. 2)

[3] الوتد هو أحد المراتب الصوفية، وهو تعبير لبيان طبقات المتصوفة ومكانتهم، وهذه المراتب هي: الأبدال، والأقطاب، والأوتاد، والعرفاء، والنجباء، والنقباء، والأغواث. للتوسع فيما يتعلق بهذه الاصطلاحات الصوفية ينظر: (الكاشاني،

1992، ص. 58- 62- 79- 114- 116- 119- 124- 155- 162- 172- 185). تم استرجاع الكتاب من الرابط:

http://www.tasavof.ir/books/download/arabic/kashani/mojam-estelahat.pdf

[4] المقصود المتصوفة، حيث يطلق عليهم عادة الفقراء.

[5] – وفي هذا الإطار يدخل إخضاعه لإداوكيس بعد أن حطم قصرهم بأدروم دون أن نغفل طبعا عنصر الماء وحضوره في هذا التخريب في فترة يؤرخ لها القرنان 13 و14 للميلاد المطبوعان تدريجيا بندرة خطيرة وجفاف مميز.

[6] – هؤلاء الأبناء هم : عبد الكريم وصـــالح وإبراهيم ومحمد (أولاد الزوجة الأولى بنت يعقوب المنصـــور)، ثم نوح ويحيى وعلي (أولاد الزوجة الثانية الشقراوية)، ويبدو أن عدد الأبناء نفسه يلج عالم المقدس مادام العدد 7 "رقما مقدسا "، على أن ذرية الشيخ سيكون لها دور كبير في إعلاء راية الجهاد ضد الوجود المسيحي على الشواطئ المغربية خلال القرن 16م، وفي هذا الإطار جاء مخطوط "مختصر سبيل الهدى في مناقب أيت إعزى وهدى" ليسرد "أخبارهم في كل ما جرى بينهم وبين النصارى إلى غير ذلك مما خصهم الله به [...] لأنهم هم المجاهدون في سبيل الله أكثر من غيرهم [...] وذكر مع ذلك [...] بعض المواضع التي دفنوا بها [...] وكيف كانت سيرهم مع النصارى " (المرغتي، ص. 1).

[7] – وهو ما يمكن أن نستشفه من خلال الإشارات الواردة في مخطوط مختصر سبيل الهدى في مناقب أيت إعزى وهدى، إذ يقول محمد المرغتي: "ذهبت يوما من أيام الله تعالى ناويا زيارة ضريحه (الشيخ إعزى وهدى) المباركة فتلقيت عنده رجلا سائحا وهو من عباد الله الصالحين وعليه آثار الخير، وسألته من أي قبيلة ومن أين هو، فقال أنا جئت من مدينة تونس"، (ص. 2).

[8] – ولعل ما يرجح هذا الاحتمال كون المصادر لم تحتفظ بذكر طريقة معينة للشيخ اعزى وهدى.

[9] – الحقول البرية.

[10] – وادي درعة، أطول أنهار المغرب، 1100 كم، ينبع من جبال الأطلس الكبير بالمغرب، ليتجه جنوب-شرقاً حتى تاگونيت ثم يتجه غرباً قاطعاً الصحراء ليصب في المحيط الأطلسي.

[11] – إحدى المدن الواقعة في القسم الجنوبي الشرقي من المغرب، تنتمي ترابيا إلى جهة درعة تافيلالت، وتعتبر من أهم المدن السياحية بالمغرب.

[12] – مصطلح القبلة في المصادر التاريخية يعني الجنوب.

[13] – هو آخر سلسلة جبلية على الهامش الجنوبي لجبال الأطلس. وهي سلسلة التوائية منخفضة ذات ارتفاع نسبي يراوح بين 200 و300م، تشرف على وادي درعة من الشمال.

[14] – تسينت هي جماعة قروية بإقليم طاطا في جهة سوس ماسة جنوب المغرب، وهي تبعد عن مدينة طاطا بـ 70 كلم.

[15] – تامدولت هي مدينة تاريخية اختفت آثارها، ويقع ما تبقى منها على ضفاف وادي درعة حوالي 13 كلم جنوب شرق مدينة أقا بإقليم طاطا، تأسست في القرن التاسع الميلادي، وقد كانت هذه المدينة محطة للربط التجاري بين المغرب وإفريقيا، ونقطة عبور شديدة الأهمية في محور طرق القوافل المتوجهة أو الآتية من السودان.

[16] إحدى الجماعات القروية التبعة لإقليم طاطا ضمن جهة سوس ماسة، **تقع بين السفح الجنوبي للأطلس الصغير وبداية السفوح الشمالية لسلسلة باني الغربية، تحدها شمالا تافراوت، وتاغجيجت غربا، وأقا شرقا، وجنوبا فم الحصن وأسا.**

[17] – وادي سوس هو نهر موسمي في منطقة سوس الأقصى بإقليم سوس ماسة بجنوب غرب المغرب. ينبع من سلسلة جبال الأطلس الداخلية ويصب في المحيط الأطلسي ماراً عبر سهول فيضية خصبة في حوض يحمل نفس الاسم.

[18] – تارودانت هي مدينة مغربية وعاصمة إقليم تارودانت بجهة سوس ماسة في جنوب المغرب، وهي واحدة من أقدم وأعرق المدن المغربية، ولعبت أدوارا هامة في تاريخ سوس والمغرب.

[19] – معناه في الأمازيغية جبل الجبال، وهو جمع أدرار: الجبل، إدرارن: درن، والمقصود الأطلس الكبير.

[20] – من الجز أي قص شعر الماشية، والمقصود كمية معلومة من شعر الماعز.

[21] – تعريب لكلمة أخف إغير بالأمازيغية، والمقصود منكب الجبل المطل على مدينة أكادير المغربية الحالية.

[22] – وادي الساقية الحمراء في غرب الصحراء الذي يأخذ محوره اتجاها من الشرق نحو الغرب، ويبلغ طوله انطلاقا من مرتفعات زمور إلى المحيط الأطلسي حوالي 450 كلم.

[23] – تكرر في العديد من صفحات المخطوط، مختصر...، ذكر للأراضي والعيون التي تملكها آل إعزى وهدى بالمناطق التي انتشروا بها.

[24] – لا نستبعد أن يكون هذا الهجوم له علاقة بالصراع الدائر آنذاك بين الدولة العلوية الناشئة وإمارة بودميعة بإليغ حول مراقبة المجال عسكريا وسياسيا، حيث سيعمل بودميعة في هذا الإطار إلى خلق أحلاف وتكتلات سياسية بمنطقة وادي نون والساقية الحمراء، ومن هذا المنطلق فمن المحتمل أن يكون أيت اعزى وهدى القاطنين بآسا قد اندرجوا ضمن هذه الأحلاف على غرار إخوانهم بواد نون، فيكون بذلك هجوم الحراطين على أيت إعزى وهدى جاء في إطار مساندة الحراطين للعلويين ضد آل بودميعة وحلفائهم، خاصة إذا علمنا أن سنة كتابة الوثيقة هي نفسها سنة تقويض إمارة إيليغ من طرف المولى رشيد، يضاف إلى ذلك أن خلفاء بودميعة بعد القضاء على إمارتهم وطردهم للصحراء قضوا خمسين سنة بآسا ولم يعودوا إلى زاويتهم بإيليغ إلا سنة 1117هـ/1695م. (PASCON, 1984)

[25] – الفرعين المكونين لساكنة قصر أسا.

البيبليوغرافيا

العربية

1. ولد أنبوجة، العلوي التيشيتي. ***فتح الرب الغفور في تواريخ الدهور***. باريس، فرنسا: مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 5409.
2. الإنجيتي، محمد البربوشي. (1303). ***سلسلة الأنوار***. مخطوط بحوزتنا نسخة منه.
3. بكاري، أحمد. (1984). ***الزاوية الشرقاوية: إشعاعها الديني والعلمي***. الرباط، المغرب: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
4. بوبريك، رحال. (2005). ***دراسات صحراوية المجتمع والسلطة والدين***. الرباط، المغرب: دار أبي رقراق للطباعة والنشر.
5. البوزيدي، أحمد. (1994). ***التاريخ الاجتماعي لدرعة (مطلع القرن 17. مطلع القرن 20) دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية***. الدار البيضاء، المغرب: طبع أفاق متوسطية.

6. الجويلي، محمد. (2001). ***سود الواحات: دراسة سوسيو أنثروبولوجية في استراتيجيات المعنى***. أطروحة دكتوراة مرقونة بكلية العلوم الاجتماعية، جامعة تونس.
7. حجي، محمد. (1964). ***الزاوية الدلائية ودورها الديني والعسكري والسياسي***. الرباط، المغرب: نشر المطبعة الوطنية.
8. ديل، إيلكمان. (1989). ***الإسلام في المغرب***. محمد أعفيف (مترجم). الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر والتوزيع.
9. الراجي، خديجة. (1999). الأرض من خلال بعض المناقب السوسية للقرن 10 – 16م. في ***واحات باني العمق التاريخي ومؤهلات التنمية*** (ص ص. 39–49). الرباط، المغرب: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير.
10. ولد السالم، حماه الله. (1999). الإطار الفكري للحركة المرابطية. في أعمال ***الندوة الدولية حول حركة المرابطين*** (من15 إلى 17 أبريل /نيسان 1996). الكتاب الثاني، نواكشوط، موريتانيا: مصادر ودفاتر التاريخ الموريتاني.
11. السوسي، محمد المختار. (1960). ***المعسول***، (الجزء 10). الدار البيضاء، المغرب: مطبعة الجامعة.
12. السوسي، محمد المختار. (1984). ***سوس العالمة*** (الطبعة 2). الدار البيضاء، المغرب: مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر.
13. الصنهاجي، البيدق أبي بكر بن علي. (1971). ***أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين***. الرباط، المغرب: دار المنصور للطباعة والوراقة.
14. عبد الرزاق، محمود إسماعيل. (1985). ***الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري*** (الطبعة 2). الدار البيضاء، المغرب: مطبعة دار الثقافة.
15. ابن عذارى. (1983). ***البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*** (الجزء 4). بيروت، لبنان: دار الثقافة.
16. كربخال، مارمول. (1984). ***أفريقيا*** (الجزء 3). محمد حجي، محمد الأخضر، محمد زنيبر، أحمد توفيق، أحمد بنجلون، (مترجمون). الرباط، المغرب: منشورات الجمعية المغربية للتأليف والنشر والترجمة.
17. الكنتي، سيدي محمد الخليفة. (2013). ***الرسالة الغلاوية*** المسماة مُبردة الغليل وشافية الغل من صدور جميع المؤمنين خصوصا بني محمد غل، تحقيق حماه الله ولد السالم. بيروت: دار الكتب العلمية.

18. اللمطي، أحمد. (2007). ***الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ***. الدار البيضاء، المغرب: دار الرشاد الحديثة.

19. المرغتي، محمد بن سعيد. (سقط التاريخ). ***مختصر كتاب سبيل الهدى في مناقب آيت إعزى وهدى***. مخطوط بحوزتنا نسخة منه.

20. الموقت، محمد بن مبارك المراكشي. (1922). ***السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية***. مصر: مطبعة مصطفى الحلبي وأبناؤه.

21. ناعمي، مصطفى وآخرون. (1989). ***معلمة المغرب***. سلا، المغرب: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر.

22. وكاري، سالم. (2017). ***الماء وملكية الأرض في مجال قبيلة أيت أوسى من القرن السابع عشر إلى النصف الأول من القرن العشرين: إسهام في دراسة المجال والمجتمع والذهنيات***. أطروحة مرقونة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر.

23. اليدالي، محمد. (1990). ***نصوص من التاريخ الموريتاني***، تحقيق محمد ولد باباه. قرطاج، تونس: بيت الحكمة.

الأجنبية

1. DE FURST, C. (1939). ***Etude sur la Tribu des Ait Oussa***. Rapport Consigné dans les Archives de l'Armée de Terre, Vincennes sous le n° 3H2211 (Poste d'Assa).
2. GOUDIO, A. (1985). ***Maroc Saharien du Tafilalt au Rio Des Oro***. Paris: France: Dossiers et tolra.
3. La CHAPELLE, F. (1934). « ***Les Tekna du Sud-Ouest Marocain, Etude Geographique, Historique et Geologique*** ». Paris, France: Publication du Comite de L'Afrique Française.
4. LAROUI, A. (1980). ***Les Origines Social et Culturelles de Nationalisme Marocain.1830-1912***. Paris, France: François Maspero.
5. LEWiCKi, T. (1962). "L'État nord-africain de Tāhert et ses relations avec le Soudan occidental à la fin du VIIIe et au IXe siècle". ***Cahiers d'Etude Africaines***. Vol. 2, (n°8), pp. 513-535.

6. MEUNIE, J. (1982). ***Le Maroc Saharien des Origines à 1670***. T.1, Paris, France: Librairie klincksieck.
7. MICHEL, N. (1997). ***Une économie de subsistances. Le Maroc précolonial***. Le Caire, Institut français d'archéologie orientale (Textes Arabes et Études islamiques 35/1 et 2), 2 vol., 750 p.
8. MONTEIL, V. (1948). ***Notes sur Les Tekna***. Paris, France: Institut des Hautes Etudes Marocaines.
9. MONTEIL, V. (1967). « Chronique de la zaouia d'Assa ». in ***Mélanges Mohamed El-Fassi***, Rabat, Maroc: Université Mohamed-V, pp. 81-90.
10. PASCON, P. (1984). ***La Maison d'Iligh et L'histoire Sociale du Tazerwalt***. Casablanca, Maroc: Najah el Jadida.
11. PUIGAUDEAU, O. du. (1968). « Arts et Coutumes des Maures », in ***Hespéris***, vol IX, (fascicule 3), pp. 329-437.
12. PUIGAUDEAU, O. et M. SENONES. (1952). "Vestiges préislamiques de la région d'Assa". **In *journal de la Société des Africanistes,*** Tome 22, pp. 7-15.